الشفاء بالايمان

لما سئلنا في الجزء الماضي عن كيفية شفاء الرجل الملقب بتدبيس الشريفات احيانًا انهُ مختص في ما قال معتقد صحتهُ . ولو كان برهميًّا لاعتقد ان برهما نفسهُ تجلَّى لهُ وكلمهُ بلغة الهنود لا بالعربيَّة وذكر لهُ عبارات من كتب البراهمة الدينيَّة ولو كان صينيًّا بوذيًّا لاعتقد ان بوذه ظهر لهُ وكلمهُ باللغة الصينية وهلمَّ جرًّا . والكلام كلهُ داخلي منتزع من الصور العقلية المطبوعة في ذهنهِ وقد اثَّر فيهِ تأثير افعال الاطباء في حوادث الهستيريا المختلفة اي ان شفاءهُ كان بمجرَّد الايمان او الاعتقاد . ثم طلب منا ان نسهب في هذا الموضوع اي في موضوع الشفاء بالايمان او بالاعتقاد ورأينا مجال القول متسعًا فكتبنا السطور التالية معتقدين فيها على بحث مسهب رأيناهُ في الجزء الاخير من مجلة العلم العام الاميركية

لا شبهة في ان كثيرين من المرضى شفوا بالايمان سواء كانت امراضهم وهميَّة لا حقيقة لها او كانت حقيقية . وهنا يقع الالتباس بين المرض الحقيقي والوهمي فاذا كان الوهمي يجري مجرى الحقيقي في كل اعراضهِ يحجب البشرَ عن العين حتى لا ترى ويمنع الحركة عن اليد حتى لا تمدَّ وينزع القوة من الظهر حتى لا ينتصب ويوقف العصارات عن المعدة حتى لا تهضم ويبطل ورود الدم الى الاعضاء حتى لا تتموَّن فهو عارض طرأ على الجسم لا يقلُّ فعلهُ عن فعل الميكروبات وسائر الآفات التي تسبب الامراض والادواء . وما يزيلهُ ويشفي الجسم منهُ يصحُّ ان يسمَّى علاجًا ودواء ولو كان فعلاً عقليًّا ناتجًا عن الاعتقاد او الوهم لاغير

انتبه الاطباء اولاً الى فعل العقل في شفاء الامراض من رؤيتهم بعض النسوان يخجلن خجلاً شديدًا احيانًا يكدن حتى تمنعهم شدة الخجل عن النطق فارتأى بعضهم ان يعالج الفتى المعرَّض لهذا الخجل بجعلهِ يفتكر في شيء يخيفهُ بناء على ان حمرة الوجه تنتج من الخجل وصفرتهُ تنتج من الوجل كما هو معلوم والصفرة ناتجة عن انقباض ورود الدم الى الوجه . فنجح هذا العلاج اي ان الفتى الذي يخجل خجلاً شديدًا اذا كلفهُ في موضوع ما يزول خجلهُ حالاً اذا افكر حينئذٍ امر يخيفه كأنَّ النقيضين الخجل والوجل يتضاربان فيفني احدهما الآخر

ههنا فعل عقلي عصبي لهُ تأثير طبيعي ظاهر في الوجه يزول بفعل آخر عقلي عصبي وهذا هو الاساس العلمي لكل انواع الشفاء العقلي او الشفاء بالايمان فان جدران الاوعية الدمويَّة التي في الوجه والعنق مؤلفة من الياف عضلية خاصة لفعل الاعصاب المختلفة بها فاذا تهيجت هذه الاعصاب مدَّدت تلك العضلات فتتسع الاوعية الدمويَّة ويكثر ورود الدم

بها الى الجلد او ضيقتها فتضيق ويقل ورود الدم بها اليه . والاعصاب المشار اليها تفعل من نفسها غير خاضعة للارادة ولكن يمكن تسليط الارادة عليها فتسير تضيق الاوعية الدموية او توسعها كما يمكن تسليطها على العضلات التي تحرك وقت البكاء فيصير الانسان قادرًا على البكاء وقتما يريد ولو لم يحدث له شيء يبكيه حتى ان الفتى الذي كان كثير الخجل صار يقنع نفسهُ بانهُ لا يوجد ما يوجب خجلهُ فلم يعد يخجل او صار يعقد نيتهُ ويصمم ارادتهُ على ان لا يخجل فلم يعد يخجل

فهذه ثلاثة سبل لمنع الخجل الاول ان يفكر المرء بامر يمنع ورود الدم الى وجهه حين يحدث ما يوجب خجلهُ فيتناقض الفعلان ويزيل احدهما الآخر . والثاني ان يقنع نفسهُ بانهُ لا يوجد شيء يوجب خجلهُ . والثالث ان يصمم ارادتهُ على ان لا يخجل ولو حدث ما يوجب خجلهُ

وفي هذه الاحوال الثلاثة تصير الافعال الطبيعية التي هي غير خاضعة للارادة عادةً خاضعةً للارادة جارية على موجبها . وهذا هو السر في كل انواع الشفاء الحادث بمجرد الايمان او الاعتقاد من غير دواء . ولعل جانبًا كبيرًا من فعل الدواء ناتج عن فعل الارادة او الايمان لاسيما وان لحركة الدم اليد الطولى في شفاء الامراض او منعها لانهُ هو الذي يغذي دقائق الجسم وهو الذي ينزح الفضول والسموم منها فاذا استطاع المرء بمجرد ارادته ان يتحكم في ورود دمهِ الى اعضائهِ المختلفة سهل عليهِ ان ينجي نفسهُ من اسباب المرض والضعف ولكن اكثر الاعصاب المتسلطة على الدورة الدموية غير خاضع للارادة فلا نستطيع ان نتصرف فيها حسب ارادتنا . اذا امرناها لم تطعنا واذا ردعناها لم ترتدع . الا ان ما نعجز عن الوصول الى اصولهِ ومصادرهِ لا نعجز عن الوصول الى فروعهِ واطرافهِ . والظاهر ان قدرة الانسان على التحكم بجريان دمهِ هي اكثر مما يظن ولو لم يشعر بها فقد سمع بعضهم مرارًا من قطع منفصلة بعضها عن بعض وكل قطعة متصلة بميزان او دليل كانها اصابع اليانو فاذا استلقى الانسان عليهِ ووجهُ فكرهُ الى رجليهِ وقال في نفسهِ انهُ يريد ان ينتصب ويرقص ثقلت رجلاهُ حالاً من ورود الدم اليهما بمجرد الفكر كانهُ انتصب واخذ يرقص

فاذا كان الدم يكثر في العضو الذي يزيد تفكيرك فيهِ فلا يبعد انهُ يلتهب بسبب ذلك واذا اعتقدت انهُ سليم فلم تعد توجه فكرك اليهِ قل ورود الدم وزال التهابهُ

وما يصدق على الاوعية الدموية او اعصابها يصدق على الاعصاب كلها فانها قد تتبع فعلاً مخصوصاً لا تحول عنهُ الا بتوجيهها الى جهة اخرى كالفرس الحرون فانهُ لا يعدل عن

حرام مهما ضربتهُ ولكزتهُ ولكنك اذا ادنيت منهُ قطعة سكّر فقد يتجه انتباههُ اليها فينسى ما كان فيهِ من الحرن . واشباه ذلك كثيرة في المصابين بالهستيريا فقد اعتاد احد الاطباء ان يطلق الفيران في فراش مَن يعتقد انهُ مريض ولا يستطيع ان ينهض من الفراش وهو غير مريض فينهض من فراشهِ رعبًا ويزول مرضهُ الوهمي

حدث منذ مدة ان امرأة مرضت واقامت في فراشها سنة كاملة لم تنهض منهُ وخرج زوجها ذات يوم ليدعو لها الطبيب . وبعد قليل اخذ جرس التليفون يدقّ دقًّا مستمرًّا ولم يكن في البيت غيرها فقامت ونهضت اليهِ وجعلت تكلم من كان يتكلم بهِ فنسيت انها مريضة وزال مرضها الوهمي من ذلك الحين

ولما حدثت زلزلة كنسترن بأميركا كان فيها رجل مصاب بالربو الشديد فشفي منهُ لخوفهِ من الزلزلة . واشباه ذلك كثيرة وكلها مثل منع الحرَن عن الفرس الحرون بتوجيه انتباههِ الى شيء آخر وكالطفل الذي يظهر العناد او الحرن فلا يعود الانفكاك عنهُ في طاقتهِ ولكنهُ اذا حدث حينئذٍ حادث فجائي صرفهُ عما هو فيهِ من العناد

وقد يصاب الانسان بسوء الهضم فتعتريهِ ادواءٌ كثيرة من جراء ذلك كالارق والدوار والصداع ورؤية السيادير وخفقان القلب وبرد اليدين والرجلين والدبول العام والسوداء والصفراء فاذا امكن ان تصطلح معدتهُ بواسطة ادبيَّة عقلية شفي من هذه الادواء او الاعراض كلها

والمعدة من اصبر الاعضاء يسيء الانسان استعمالها يومًا بعد يوم وهي صبور لا تتذمَّر ولكن اذا أُطيل امتهانها فرغ صبرها وحرنت كالدابة الحرون ولم تعد تهضم طعامًا فابتُلي صاحبها بسوء الهضم (الدسبيسيا) وكل الاعراض والآفات التي تنتج عنها. والسبب المباشر لسوء الهضم قلة العصارة المعدية او فترة حامضها وبسينها او كثرتهما او اختلال حركة المعدة نفسها فتصير تدفع الطعام بسرعة الى الامعاء قبل ان يهضم فيها هضمًا كافيًا او تصير تبقيهِ فيها مدة طويلة جدًّا حتى يحمض وتتولَّد فيهِ غازات كثيرة فتسبب التعب والالم

وهذان اختلالان اي الخلل في العصارة المعدية والخلل في حركة المعدة سببهما عصبي فان غشاء المعدة يتأثر بالطعام وينتقل التأثير منهُ الى المراكز العصبيَّة كأنهُ يقول لها ان الطعام وصل الى المعدة وهو مستعد لكي يهضم فلم يبقَ الاَّ ان تأمري العصارة المعدية لكي تأتي وتهضمهُ . ففي الاحوال العادية يذهب هذا التأثير الى المراكز العصبيَّة المتسلطة على العصارة المعدية ويجري العمل على تمام الانتظام ولكن اذا اختل عمل المعدة او الجسم لسبب

من الاسباب لم يعد التأثير يصل الى المراكز العصبيَّة في الوقت المناسب او لم يعد يؤثر فيها او لم تعد هي تتأثر كما يجب ان تتأثر او لم تعد تصدر اوامرها على الصورة المطلوبة او لم تعد حويصلات جدران المعدة تطيع الاوامر التي تصدر من المراكز العصبيَّة . وكيفما كانت الحال فالنتيجة واحدة وهي سوء الهضم

والغالب ان الاعصاب تعجز عن تأدية وظيفتها اذا تعبت كثيرًا اما من كثرة الشغل العقلي او من الهم والغم اومن كثرة الطعام وكثرة تشغيلها في ارسال اوامرها الى جدران المعدة وحينئذٍ فالراحة وحدها تكفي لاصلاح سوء الهضم اذا كان سببهُ من تعب الاعصاب وكذلك تقليل الطعام اذا كان سببهُ كثرة الطعام . ولا فائدة من الادوية في هذه الاحوال بل قد يكون منها ضرر . والراحة العقلية افعل الوسائل كلها لانها ترجع الاعصاب ولكن قد تسترجع الاعصاب وتبقى على عنادها كالفرس الحرون وحينئذٍ لا فائدة الاَّ من استعمال حيلة عقلية تصرف الاعصاب عن عنادها كما تصرف قطعة السكر الفرس عن حرنهِ . والحيل العقلية هي التي يلجأ اليها اصحاب الطب الروحاني او الشفاء بالايمان

وقد اتضح تأثير الطعام في افراز العصارة المعدية على اسلوب بديع في الكلاب فقد وُجد ان العصارة المعدية تنصبُّ في معدة الكلب حالما يدخل اللحم معدتهُ فاذا ترك حتى يبلع قطعة اللحم ثم نزعت من حلقهِ قبلما تصل الى معدتهِ فالعصارة تنصب فيها ايضًا كأن اعصابها شعرت انهُ بلع قطعة اللحم فصار الواجب عليها ان تفرز العصارة لهضمها فتعمل ما يجب عليها سواء وصل اللحم الى المعدة او لم يصل . واذا اتيح للكلب ان يرى قطعة اللحم ويشمها قبلما يبتلعها فالعصارة تكون اكثر مما لو ابتلعها من غير ان يراها ويشمها كأن تمتع حاسة البصر وحاسة الشم برؤية اللحم يزيد تأثر الاعصاب المتسلطة على العصارة المعدية وبهذا تفسر بلاغة ابي نواس حيث قال

ألا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمرُ ولا تسقني سرًّا اذا امكن الجهرُ

لكي يتمتع شمهُ باسمها فتزيد لذتهُ بها . وهذا هو السبب في ان الطعام الذي يستطيبهُ الانسان يسهل عليهِ هضمهُ ولو كان من الاطعمة الثقيلة العسرة الهضم عادة . والطعام الذي لا يستطيبهُ لا يسهل عليهِ هضمهُ ولو كان سهل الهضم . واذا توقفت العصارة فلم تفرزها المعدة لسبب من الاسباب فالافعال العقلية تكفي للتأثير في الاعصاب المتسلطة عليها حتى تجعل جدران المعدة تفرزها

ولا يخفى ان الاسباب العقلية تؤثر في غير المعدة ايضًا من الاعضاء الرئيسة فتؤثر في

القلب والكبد والكليتين . فالفرح والحزن والانبساط والانقباض تؤثر في القلب تأثيرًا شديدًا . والخوف الشديد قد يوقف حركتهُ . والغيظ يؤثر في الكبد حتى لقد يجلب اليرقان . والخوف يؤثر في الكليتين . ويقال بنوع عام ان الافعال العقلية المزعجة كالغضب والهم والغم والخوف والشك تضعف الاعصاب وتضعف فعلها وانهُ لا فائدة من الوسائط الادبية ما لم يثق المريض ثقة تامةً بطبيبهِ او بمن يتولَّى علاجهُ حتى ان ثقة الانسان بفعل العلاج قد تجعلهُ يفعل بهِ على ضد طبيعتهِ فقد ثبت ان اناسًا ارادوا ان يتناولوا حبوبًا مسهلة فتناولوا خطأً حبوبًا قابضة فنفعت بهم فعل المسهل لاعتقادهم انها مسهلة . وذكروا ان مريضًا احمق اكل التذكرة التي كتب الطبيب فيها الدواء حاسبًا انها هي الدواء نفسهِ

نوادر شعراء العرب[1]

(١) مفاتيح الشعر

سئل ذو الرُّمة كيف تفعل اذا انقفل دونك الشعر . قال كيف ينقفل دوني وعندي مفاتيحهُ . قيل لهُ وعنهُ سألتك ما هو . قال الخلو بذكر الاحباب . وقيل لكثيِّر كيف تصنع الشعر اذا عسر عليك . قال اطوف في الرياض المشعَّبة فيسهل عليَّ صعبهُ ويسرع اليَّ احسنهُ . وروي ان الفرزدق كان اذا عصت عليهِ صنعة الشعر ركب ناقة وطاف وحدهُ منفردًا في شعاب الجبال وبطون الاودية والاماكن الخالية فيعطيهِ الكلام قيادهُ . وقال الاصمعي ما استدعي شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخالي

(٢) انصاف الخصم

قال في الصبح المنبي : كان لابن جنّي هوًى في ابي الطيب وكان كثير الاعجاب بشعرهِ وكان يسوءهُ اعتراض ابي علي الفارسي في الطعن عليهِ واتفق ان قال ابو عليٍّ يومًا اذكروا لنا بيتًا من الشعر نبحث فيهِ فابتدر ابن جني وانشد

حملتِ دون المزار فاليوم لو زر ت لحال الحمول دون العناقِ

فاستحسنهُ ابو علي وقال لمن هذا البيت فانهُ غريب المعنى فقال ابن جنّي هو للذي يقول

ازورهم وسواد الليل يشفع لي وانثني وبياض الصبح يغري بي

(١) من مجموعة لحضرة الاديب نسيم افندي الخلو